

دلالات الصورة الرمزية في الرواية الجزائرية المعاصرة (رواية هاء وأسفار عشتار لعز الدين جلاوحي)

The connotations of the avatar in the contemporary Algerian novel (the novel of Haa and the travels of Ishtar by Izz al-Din jalawji)

باعلي عبد الحكيم

¹المركز الجامعي (أفلو)، مخبر البحث والدراسات في قضايا الإنسان والمجتمع a-baali@cu-aflou.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/20 تاريخ القبول: 2024/10/09 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: يهدف هذا المقال إلى الكشف عن دلالات الصورة الرمزية في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال التركيز على النص الروائي "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوحي، فقد شكّلت الصورة الرمزية في روايته دلالات موحية تثير ذائقة المتلقي حرصا منه إلى استكشاف آفاق جديدة تمثلت على الخصوص في الابتعاد عن الرتابة اللغوية، والسعي إلى توظيف الرموز والعوالم الأسطورية، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها: -أن الروائي عز الدين جلاوحي أهاب بالأساليب الرمزية كثيرا رغبة منه في التخفي عن السلطة العامة. **كلمات مفتاحية:** الدلالات؛ الصورة الرمزية؛ الرواية الجزائرية؛ عز الدين جلاوحي.

Abstract: This article aims to reveal the connotations of the avatar in the contemporary Algerian novel by focusing on the narrative text 'Ha and the Travels of Ishtar' by Ezzedine Jalawji, as the avatar in his novel formed suggestive connotations that arouse the taste of the recipient in order to explore new horizons, represented in particular in moving away from linguistic monotony, and seeking to employ symbols and mythological worlds, and the study has reached the most prominent results:

- The novelist Ezzedine Jalawji called for symbolic methods many of his desire to hide from public authority.

Keywords: :signals.; Symbolism.;The Algerian novel;Ezzedine Jalawji

المؤلف المرسل: باعلي عبد الحكيم، الإيميل: hkim96baali@gmail.com

1. مقدمة:

انفتحت الرواية الجزائرية المعاصرة على قيم ودلالات جديدة نتيجة تأثرها بموجات الحداثة، والمتاقفة مع الروايات الغربية الحديثة، فبات من الضروري أن ينحاز المبدع الروائي إلى تكوين أساليب وتراكيب موحية تُثير ذائقة المتلقي، ويتفاعل معها على نحو يتوافق مع مرجعيته الثقافية، والحق أن المتتبع لمسار النص الروائي الجزائري المعاصر سيلحظ مدى التطور الفني الذي شهدته، لمحاولة ارتياد آفاق وحمولات دلالية ورمزية ماثرة تمثلت على الخصوص في الابتعاد عن التقريرية في اللغة، والسعي إلى الترميز، والتجديد، والتجريب، والإيغال في العوالم الأسطورية.

يُعدُّ عز الدين جلاوي من أبرز الروائيين الجزائريين الذين أهابوا بتطور الصورة الرمزية في الرواية الجزائرية المعاصرة، وبحث عن أساليب وأفكار تحولها من النمط التقليدي إلى النمط التجديدي القائم على الخيال والتصوير، ذلك باعتبار أن الترميز من أهم عناصر العمل الفني الإبداعي، لذا فإن الاتجاه إلى دراسة الصورة الرمزية في الرواية الجزائرية المعاصرة يعني الاتجاه إلى روح العملية الإبداعية شكلا ومضمونا، مما يثير مجموعة من التساؤلات التالية:

- ✓ ما مفهوم الصورة الرمزية؟ وكيف تجلّت في الرواية الجزائرية المعاصرة؟
- ✓ ما هي مستويات الصورة في رواية "هاء وأسفار عشتار لعز الدين جلاوي؟

2. الصورة الرمزية في النص الروائي الجزائري

إنّ الرواية في حقيقتها تُبنى على الخيال بصيغة جمالية، تقوم على نقل الحقائق والأفكار بالدلالات والرموز والتصوير والإيماء، فالصورة الرمزية هي عبارة عن شبكة مُعقّدة من الفكر، والخيال، واللغة، والموسيقى تمثل أساس التجربة الشعورية الإبداعية" (هيمه، 2005، صفحة 12)، ومن هنا فإنّ الرواية الجزائرية المعاصرة تتبني أسرار التجدد والانفتاح، والبحث المستمر عن الآليات السردية الجديدة المغايرة للنمطية؛ وذلك بتوظيف التصوير الفني الذي يفسر الرمز على أنه أفضل صياغة ممكنة لما نعيشه في الواقع من تحديات وصعوبات.

ولا شك أن التصوير الرمزي "لا يناظر أو يُلخّص شيئاً معلوماً؛ لأنه يحيل على شيء مجهول لكنّه يُعرّف بالحدس وإعادة دمج الماضي بالحاضر، ومرتبطة بالمعاني التي يشكّلها المبدع وحده وفق ما تقتضيه التجربة" (عاطف، 1983)، ومن المؤكد أيضاً أنّه لا يمكن حصر الترميز على مستوى اللغة، والأسطورة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الفن التشكيلي للغلاف، والحوار الداخلي، وتوظيف مصادر التراث بشتى أنواعه، والمكان، والزمان، "فهذه اللغة محدودة في حين أن العالم غير محدود، ولا نستطيع أن نعبّر بالحدود عن غير المحدود" (أدونيس، 1983، صفحة 44)، إذ أنّ توظيف الرمز في الرواية أسهم في خلق مجموعة من الدلالات قد توحى لمعانٍ إنسانية، أو نفسية، أو اجتماعية يمتزج فيها الواقع بالتخييل، والمعقول باللامعقول، حيث نجد المبدع - أحياناً - يلجأ إلى استلهاهم ما هو مختمر في ذاكرته عبر الرموز بتوجيه من تجربته الشعورية المضطربة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالصورة الرمزية دون غيرها، فهي ذات إحاء جم، ومظهر إيجاز واضح، والنفس البشرية عُرضة لحالات فكرية وعاطفية بالغة التعقيد لا يمكن تبسيطها أو تحليلها، ولا يتأتى التعبير عنها بالأسلوب المؤلف (الكندي، 2003، صفحة 32).

إنّ الصورة الرمزية كفيلة باستثارة إحساس المتلقي، بحيث لا تبدو تعبيراً جاهزاً وإنما يحاول من خلالها إيجاد مواطن النشوة، واللذة، والغموض، والإبهام، والغربة، والاستفزاز لكن حينما يعلم المتلقي أنّ هذه "الصور تلاحق الوجود ومكوناته، وتعبر عن موقف المبدع منه، ومشكلاته فيه، فلن يكون غموضها محلاً للدهشة، وبخاصة إذا ما قُورن بالصعوبات والتغيّرات التي تسود الحياة المعاصرة، وتتكون من نتاجات المبدع جزاء تفاعله معها وربما اصطدامه بها" (الكندي، 2003، صفحة 40)، وبهذا المعنى قد لا أجد سبباً في تضيق الهوة بين المبدع والقارئ؛ لأن كل ما يُستمد من الرمز عبارة عن تراث قديم برؤى جديدة يساهم في إنتاج حقوله الدلالية وعلى القارئ أن يغوص في أعماقها ويتفاعل معها.

3. أهمية توظيف الصورة الرمزية في النص الروائي الجزائري

تُعَدُّ الصورة الرمزية أحد العناصر الأساسية في العمل الأدبي، فقد تنحصر وظيفتها في الإقناع والإمتاع، وإيصال الحقائق، حيث "يعتمد المبدع - لأجل هذا - إلى تلطيف الكلام والتوسل في أسلوبه؛ لأنّ النفس البشرية إذا وقفت على تمام المقصود لم يبق بها شوق إليه أصلاً" (الكندي، 2003، صفحة 34)،

ذلك أنّ استصاغة الرمز والمجاز حقٌّ لكلّ مبدع، والأكيد أن استعماله يختلف من مبدع لآخر، كما أنّه بات من الضروري أن يتكأ الروائي المعاصر على الصورة المجازية والرمزية؛ لأن التأثير في ذائقة المتلقي لا يحدث بالصورة الحقيقية، وإنما بنوع من المباطنة والإيماء.

ولأن الرواية المعاصرة ليس لها حدود في التعبير عن الحقائق نجدها تحفل كثيرا بالمصادر ذات الدلالات العميقة الباطنية، وفي هذا السياق يقول أدونيس: أن الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص...إنّ اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة" (أدونيس، زمن الشعر، 1972)، لهذا نستطيع القول بأنّ الصورة الرمزية هي نشاط خلاق يتجدد بالوعي والإدراك، وتسعى إلى الارتقاء بشعرية الرواية من حيث التشكيل اللغوي، والتصوير، و" عندما يلجأ المبدع إلى الجوانب المعنوية اللامادية للكون يضطرّ إلى التعبير عن هذا الإدراك المتطور بلغة وكلمات ذات دلالات مادية، تقصر عن حاجته التعبيرية للوفاء بإدراكاته الجديدة، فيلجأ إلى استخدام الصورة الفنية بهدف الوصول إلى تعبير أعظم يناسب حالته الشعورية.

والحقيقة أنّ حاجة المتلقي إلى التطلع والتجديد تجعله يبحث عن لغة تتكاثر بالمعاني، والتراكيب التي تتجاوز المؤلف، وتتجاوز النظرة الضيقة، ومن أجل هذه الغاية يُلقي الروائي أحضانه بين التراث والأساطير، ويحاول جاهدا أن يترجم معاناته الشعورية، والاجتماعية، والسياسية بالسرد التاريخي الإيحائي، وبهذا قد تكون الصورة الرمزية هي الكشف عن خبايا النفس في علاقتها بالعالم الخارجي المحيط بها، حيث أنه - أحيانا - يضطرّ إلى أن يتوسل برموز فنية تمكّنه من التعبير، والتواصل بالأشياء لتحقيق الانسجام في الواقع (يوسف، 2018)، حينها تحقق الرواية الجزائرية قفزة نوعية في تعاملها مع الواقع، ومع المعطى السياسي، والثقافي، والاجتماعي، وتأكيدا على ما سبق يمكننا القول بأن الصورة الرمزية في الرواية لا يمكن للمبدع أن يستغني عنها ما دامت الأفكار المعقدة، والتجارب متراكمة في مخيلته يعكس من خلالها أجواء حياته المعيشية، إلى أن يقف "في حالة انبهار دائم أمام ما تحتوي الأشياء الواقعية من أبعاد خيالية" (برهم، 1996)، وبالتالي يسعى أن تكون الصورة ذروة عمله الإبداعي التي بفضلها تحقق الرواية عنصر التفاعل مع المتلقي.

4. مصادر استدعاء الصورة الرمزية عند عز الدين جلاوي

إنّ عملية استدعاء الصورة الرمزية في الرواية تقوم على مدّ جسور التواصل بين الكاتب وقرائه، يكتب ما يلائم تفكيره، ويخدم قضايا أمتة داخل النص الأدبي؛ لذا يجد نفسه في حاجة ملحة إلى استدعائها ليحقق عنصر الجمالية، والحيوية والشحنة الرمزية والإيحائية، إذ أصبح من الضروري النظر إلى المتلقي على أنه كفاءة ذهنية ترافق عملية الإنتاج، والخلق للعملية الإبداعية لتوليد الدلالات التي تحملها الرواية المعاصرة والكشف عن القصد.

ويكاد يكون هناك قدر من الإجماع على أن الروائي الذي يُحسن التعامل مع الصورة الرمزية لا تعوزه القدرة على التصرف في لغته وخطابه، وتوجيه مساره الإبداعي؛ ذلك لأنّ توظيف الرمز عبارة عن ممارسة معرفية تعمل على استدعاء كل ما من شأنه أن يخدم الرواية في الألفاظ والتراكيب التي يمكنها أن تتلاحم مع التجربة الشعورية، وتساهم في إنتاج الخيال، وثرء التأويل، لهذا يمكن أن يكون التراث بمثابة الخزان الذي يحمل أشتات الدلالة بمختلف سياقاتها، "فلا مناص لأبي شاعر أو أي مبدع كان، وفي أي عصر كان من أي يرجع ويستعين بتراثه الذي ينتمي إليه، حتى وإن تعددت مشاريعه الثقافية وإبداعاته الشعرية، فقد يجد نفسه مجبراً في الارتباط بتراثه في بعض الحالات في زاوية من زواياه المتعددة." (اللطيف، 2009) ومن مصادر توظيف الصورة الرمزية عن عز الدين جلاوي هو الرجوع إلى التراث الأسطوري، والتاريخي والعجائبي، والديني، حيث تربطه علاقة وطيدة، لهذا بات من الضروري أن لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنه ساهم في تطوير لغته الروائية، وإثراء المعجم الشعري بألفاظ جديدة موحية ذات صلة قوية بالتراث، كتوظيف الشخصيات الدينية، والقصص القرآني وغيرها، والأسماء الأسطورية، والاهتمام بالطبيعة، والأحداث الصوفية فيعدّ من أبرز الروائيين الجزائريين ترمساً على هذا التراث، فإن لغته تقوم على التصوير والإيحاء شكلاً ومضموناً، فيلجأ إلى توظيف كل ما له صلة بالتراث؛ لأنه يمثل مصدراً هاماً في شخصيته والحق أن الإبداع الحقيقي ليس مرتبطاً بعملية الاستدعاء بقدر ما هو مرتبط بكيفية التوظيف وفق السياقات المناسبة، والحالات الشعورية المتقلبة، ومدى ارتباط هذا التوظيف الرمزي بالنفوس والأذواق، وإن كان هذا التراث يبدو متشعباً فإنه عند المتلقي عبارة عن مستويات تتفاعل مع بعضها البعض، الأمر

الذي يجعل عملية الاستدعاء عملية صعبة، فقد لا يأتي هذا الرمز دون غاية منشودة من جهة المبدع؛ لكن من جهة المتلقي فالقضية تحتاج إلى نظرة شاملة منه.

كما يعتبر — أيضا — الموروث الشعبي من أهم مصادر التوظيف الرمزي في الرواية الجزائرية لا سيما في رواية ها وأسفار عشتار لعز الدين جلاوجي من خلال حضور الحكايات الشعبية، والرقصات، والأغاني، والفنون القديمة، والفنون التشكيلية، والقصص الشعبية وغيرها، "فإنَّ أهم ما يجمع بين الصورة والتراث هو التوافق في آن معا والذات المبدعة بكل خصوصياتها، والعالم الموضوعي بكل سلبياته المحدود والمطلق، والدائم الخاص والعام، وقد يكون هدف هذا التوظيف هو الكشف ثم تحقيق المصالحة، والفنان الذي يحاول أن يكشف خبايا نفسه في علاقتها بالعالم المحيط به يضطر إلى أن يتوسل برموز فنية تمكنه من إحداث التواصل" خاصة ما تعلق بقضايا الأمة، والسياسة، والثقافات (يوسف، 2018، صفحة 60).

5. تجليات الصورة الرمزية ودلالاتها في رواية هاء وأسفار عشتار

تُعتبر رواية هاء وأسفار عشتار من بين الروايات الجزائرية التي صوّرت البعد الاجتماعي لمعنى الحرية في الوجود الانساني، فنجد أنه يعبر عن خلاصها إلى فضاء الدلالات والرموز، الأمر الذي جعله ينجح في بناء عالم خيالي أقرب للعجائية بواسطة سردية تمتاز بالدقة والجمال، كما يُطل علينا عز الدين جلاوجي من نافذة خيالية تحمل شُعلة فلسفية عميقة مفادها: كيف للإنسان أن يعيش حرا في ظل التوترات والصعوبات التي تواجهه؟ وهل بإمكانه أن يظل خاضعا تحت مرفأ العبودية التي تجعل منه عبدا ذليلا خاضعا بالرغم من قداسة تفكيره في هذه الحياة؟

وقد استطاع أن يستلهم جلاوجي أحداث روايته من الواقع المعيشي، بتقلباته اليومية، متخطيا بذلك جدار المألوف لتصبح الرواية عنده ليست وقائع وأحداث فحسب، وإنما مادة روحية دسمة مفعمة بالدلالات والأحاسيس، مما قد يساهم هذا في إثراء تجربته الإبداعية محاولا استنطاق الدلالات وما يخفيه السياق السردية، وعلى هذا النحو يُقدّم لنا الكاتب فصلين متكاملين يربطهما سياق متراس الزمن بين حاضره وماضيه، فجاء الفصل الأول بعنوان: أسفار التيه؛ والفصل الثاني بعنوان: أسفار المسخ، ومن خلالهما تشكّلت معالم الرواية.

ويتحدث الكاتب في هذه الرواية عن المفهوم العام لفلسفة الحرية والتصدي إلى كل الإمكانيات التي تعيقها، وهنا نوجه النظر إلى البطل الذي جعله الكاتب على لسان الراوي أن يتمرد على الواقع ومحاولة التحرر من العبودية العمياء، وسعيه الدائم إلى الحرية لكن سرعان ما انقلبت به الموازين فدفع ثمن هذا الرفض قاسياً والزج به بين أسوار السجن، ودام فيه لمدة خمس سنوات كاملة، وهو مؤمن بأفكاره وقناعاته في رحلة البحث عن حريته، حيث رسم لنا ملامح هذا البطل وهو يتقلب من حالة الجمود إلى حالة الوعي بمدرجات الأشياء، وحبه لحبيبته التي أسماها ب (طفلي المدللة) التي دامت معه طوال حياته الدراسية محولاً إقناعها: (أن الحرية تنبت من نسيم الطبيعة)، ولا مكان لها للعبودية طالما كانت مهمةً بدراستها.

1.5 رمزية الشخصيات وثنائية الزمكان:

يمكن للمتلقي وهو يقرأ رواية ها وأسفار عشتار أن يختار نقطة البدء التي يستطيع من خلالها الدخول إلى عالم النص الروائي، وهذا راجع إلى سيرورة الأحداث وفق أزمنة الاستباق والاسترجاع، فنجد جلاوجي يبدأ باستدارة عكسية للزمن ليختار مكان (السجن) بدايةً للنص، فالسجن دلالة للعبودية والانحناء للتبعية المقيتة، فيبدأ بنا من نهاية مأسوية مفادها أنّ البطل سيقضي خمس سنوات كاملة شتاءً ليوصل لنا رسالة الزمن أن التخلص من العبودية أمر مستحيل.

واختار (الطبيعة) مكاناً لنزواته مع جده (مصباح) دلالة إلى الحرية والانفتاح على الثقافات الأخرى، مصباح الذي كان مبتعداً عن البشر وشغوفاً بالطبيعة لقناعاته بأنها الأمل الوحيد لإشراق الحرية، وتتطور أحداث الرواية ليصل به الأمر إلى محاولة التأكيد والتأصيل لفلسفة الحرية التي يترجها للجميع ويصدر كتاباً بعنوان (الإنسان الحر) من قلب (الجامعة) كمكان للإشعاع الثقافي، والفكري، مؤكداً فيه أبرز أشكال العبودية وبعض مخاطرها.

كما نلاحظ أنّ جلاوجي قد أعطى للرواية بُعداً آخر وهو الخروج عن كل ما هو مألوف في أذواقنا نتيجة تحقيق الفاعلية النصية الابداعية، فيلجأ إلى العجائبية التي برزت في نصه، فيجعل البطل ذنباً ويعيش بين الذئاب ليتحرر من العبودية، كما خرج عن المألوف من خلال ما أخبر به البطل من تلبس روح الجد (مصباح) يوم موته.

2.5 رمزية الغلاف والعنوان الأسطوري:

يُعتبرُ الغلاف الخارجي للنص الروائي عتبةً أساسيةً من عتبات النص، حيث يفضي إلى اكتشاف علاقات ودلالات مع العالم الخارجي، كما يعتبر بوابة عبور إلى الأنساق المضمرة للنص، لذلك لا يمكن للقارئ أن يتجاهله؛ لأنه يوجّه أفق القارئ إلى الاتجاهات التي تخدم مضمون الرواية، وقد يسعى هذا الغلاف في النص الروائي الذي بين أيدينا "هـاء وأسفار عشتار" إلى إثارة المتلقي واستفزازه من أول وهلة، وذلك عن طريق تقنية المرونة البصرية، حيث تعمل العين على جذب الأشياء ذات الأحجام الكثيرة والأشكال البارزة، والألوان المحفزة والمثيرة، وهذا ما نجده في الرواية من حسن انتقاء واجهة تليق بعمله وتتناسق مع محتواه "(أميرة، 2023، صفحة 40) وقد اشتمل الغلاف على الواجهة الأمامية والعنوان الرئيسي:

أ. الواجهة الأمامية:

إنّ المتأمل بعين التدقيق يلحظ في غلاف الرواية ثلاثة أفئدة على شكل نساء عُرا بمنظار عجائبي وهمي، يحملن ضباية على وجوههن، فقد يصور هذا المنظر العجائبي جسد الأنثى لتداعيات تخدم نصه، مما قد يدلُّ هذا التوظيف على النسيج الفني ذات البعد الأسطوري، واللافت للنظر أنّها تظهر مرعبة ومخيفة، وهذه دلالة على أن الحب الحقيقي ليس في المظهر، لأن النساء هنا لا يحملن تلك الفتنة التي عهدناها، وإنما الشيء الذي أراده بطل الرواية: هي فكرة التحرر من الاستعباد أمام الجمال، واستخدم بدل ذلك الاسم الأسطوري كرمز للحب والجمال "عشتار"، ومهما يكن فإنّ هذه اللوحة شكلت جمالية مائعة، وصورة رمزية تثير ذائقة المتلقي بما فيها من دلالات وإيحاءات.

وقد جاء غلاف الرواية باللون الأزرق الداكن الذي يعكس الضوء، يحمل في طياته دلالة البهاء والإمتاع والصفاء؛ لأنه يشبه لون السماء يقع على البصر ليثير البصيرة، وهو من الألوان الرومانسية التي يستخدمها الفنانون التشكيليون على ألواحهم، ولعلّ من إيجابيات استعمال هذا اللون أنه أصبح يخاطب الوجدان والعقول، ومن هنا نرى أن عبقرية الكاتب تتجسد في دقة اختيار الألوان وما يتناسب معها من مضامين طامحا من خلالها إلى تحقيق حاجاته الإنسانية، والرغبات الجامحة التي لا حدود لها.

ب. العنوان الرئيسي:

يشكّل العنوان هوية النص الأدبي، وجزء لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة لدى الكاتب، ويساعد القارئ على فهم النص، وفك شفراته، وتفسيره وتأويله، فهو من أهم العتبات النصية التي تشكّل جانباً كبيراً من مضمون العمل الإبداعي، وقد يعدُّ أيضاً من "أخطر البؤر النصية؛ لأنه يمثل عادة مفاوضات القبول أو الرفض من طرف المتلقي فيما عشتق وارتياح فتقع لذة القراءة، وإما نفور ونكوص فيقع الجفاف في القراءة دون وعي أو فهم، لذا فهو بمثابة مؤشر تعريفي يتقدُّ النص من الغفلة" (حسين، 2007، صفحة 4)، وفي الرواية نجد العنوان: ها وأسفار عشتار" قد كُتِبَ باللون الأصفر دلالة على السرور والسعادة، وهو أول لون ذُكر في القرآن الكريم خمس مرات قال الله تعالى { إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ } وجاء بدلالة الإفساد والدمار في الآية الكريمة { وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ } ، كما أضفى هذا العنوان إلى بُعْدٍ عجائبي وأسطوري خرافي ف اسم "عشتار" كما جاء في الحضارات القديمة على أنها إلهة الحب والجمال والحرب، فهو صورة رمزية أسطورية، وهي "إجمالاً حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان" (يوسف، 2018، صفحة 138) ، ولعل أنّ من أسباب التوظيف هو الإشارة إلى طغيان الجسد الأثني كنسق للفحولة التي بات البطل رافضاً له على نحو يناسب حالته الاجتماعية.

3.5 رمزية النسق السياسي والتعالي على الذات:

يمكننا القول أنّ الاهتمام بالمعطى السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة كان وليد ظروف موضوعية وحياتية فرضت نفسها على الكاتب: منها على الخصوص التوجه السلطوي والذي تمثل في مواجهة كل ممنوعات التي تعرّض إليها البطل بداية من السجن وانتهاء للطبيعة، ولعلّ الروائي أراد أن يتخفى وراء السياق ليجعل من البطل شخصاً رافضاً للسلطة خوفاً من الاستعباد، وقد تبين ذلك من خلال الفقرة التالية: "كان يعرف إني لا أؤمن بشيء يُسمّى الوطن، والمواطنة أيضاً، هههه التي إن هي إلا شكلٌ جديد من القبليّة المقيتة، لا يختلفان إلا في الاسم ولكنهما يشتركان في الروح والممارسة والشكل وتبرير العبودية والغزو والنهب وتقديم القرابين من دماء المستضعفين، ولا أؤمن بشيء يسمى الدولة

والأسرة والقبيلة والسلطة والنظام والقانون وو... إن هي إلا أسيرة وأسوار مقيته وضعتها شردمة من اللصوص لسرقه حرية المستضعفين السذج" (جلالوجي، صفحة 66).

في هذا المقطع تتضح لنا دلالة الرفض القاطع لكل أشكال العبودية بما فيها السلطة، وأسوار السجن، والنظام، والشركات وغيرها، فهي تحيلنا إلى الواقع الذي تربى فيه البطل، وطفله المدللة التي حاولت أن تقرأ كتابا واحد ويخلصها من شبه العبودية وما تعانيه من الاستبداد والظلم من قانون يخدع، ويعمل على تحطيم كل عناصر القوة والإرادة، ثم "يتواصل الحضور الفعّال للبطل المثقف في الرواية لتمرير رسالة مفادها أن التغيير أصبح ضرورة ملحة وحتمية تحتاج إلى إرادة فعّالة وقوية، حيث أجاد الكاتب استثمار نسق الحرية كونها أساسا مهما في الوجود الإنساني" (أميرة، 2023، صفحة 76) وأكد أنّ الواجب في سلب الحرية يكون في الاتحاد لا الاستنكار والخذلان، وقد بيّن هذا في الفقرة التالية: "الواجب يفرض أن نكون مجموعة ولا نكون فردا، حتى لا يتحول ما أدعو إليه إلى قفص العبودية، حتى لا أصير أنا إليها يقدس فيسرق الحرية من قلوب الناس ويرميهم في ظلمات العبودية المقيته، يقينا سأفنى ذات يوم وأترك كتبي، ويقينا سيأتي بعدي شرّاح ومفسّرون ومؤوّلون وسيكون لهم أتباع ومريدون، وسينقسمون ويتصارعون، وربما سيتقاتلون، وحتما بعد إن صرت بالنسبة إليهم إلهما سارقا للحرية سيتناسلون مني ويصيرون إلهة تغتصب حرية الناس ويظلمون في تكاثر حتى يصير الآلهة أكبر من المرديد" (جلالوجي، صفحة 50).

نشير هنا إلى أن الحرية كثيرا ما تُردّ على ألسنة البشر فلا تتحقق إلا بالإرادة والعزيمة؛ فهو بذلك يعلن تحدّيه بأنه قابلٌ للتضحية بالموت في سبيل حريته، وانتماءه للغد المشرق، مما يجعلنا نقول أن الكاتب قد تنبأ إلى جيل قادم يقدس حريته ويتفاعل معها، مهما كلّفت نفوسهم من شقاء، وبما سيقع من تطورات وتحولات في الأيام المقبلة، وفي النهاية ما يجب التأكيد عليه أن رواية ها وأسفار عشتار جاءت بلسان الحال الذي يخاف من الإفصاح عن كل فلسفة معاصرة تثير المخاوف بين الناس، وترفض القرار السياسي، في ظل التحديات التي نعيشها في واقعنا المعاصر، وما قاله عزالدين جلالوجي في هذه الرواية كان على شكل طائر عجائبي يخلق في سماء الابداع والجمال .

4.5 رمزية توظيف المرأة: (طفلي المدللة)

ظلّ رمز المرأة رافداً مُهماً ارتكز عليه الروائيون المعاصرون، ومكّنهم من البوح والتعبير عمّا يدور في خاطرهم، ولا شك أنّ الروائي عز الدين جلاوجي أهابَ بالمرأة هنا كدلالة للجمال، والحب، واتخذها موضوعاً لحب الوطن والوله به، مثل الحبيبة، والذوبان فيها، كما نجدها أيضاً تدور في موضوع العزل، والحب الإلهي، والتغني بالوجدان والأحاسيس كما جاء في الفقرة التالية: "ورشفت طفلي المدللة من كأس عصير محدثة صوتاً ثم دندنة بأغنية طالما دندنتها معها، وهي تعزف على الطاولة بأصابعها، وخرجت من شرنقي فتأملتها، كانت في غاية البهاء والفتنة، غير أن هناك شيئاً ما قد تغيّر فيها ما هو اللعنة لقد جاءتني هذه المرة دون قناع المساحيق، كانت طبيعية تماماً، لعلها لم تزد صباحاً على أن اغتسلت بماء وربما صابون أيضاً" (جلاوجي، صفحة 50)، فنرى من خلال هذا النص كيف تحول الحب إلى غناء، وإلى صورة ذهنية تتجسد من خلال الكلمات المعبر بها، فهو شعور مستقرّ في الذاكرة، ويؤكد على أساسيات الجمال المادّي، إلا أنّ الروائي في حقيقة الأمر يحاول رسم لوحة صوفية فحسب.

ولعلّ هذا ما جعل عز الدين جلاوجي يربط بين التجربة والصورة الرمزية لتكون وسيلة معبّرة تفوق اللغة التعبيرية التقريرية المباشرة، فقد أدّت إلى وظيفة دلالية توارت عن الأذهان تمثلت في الصلة الوثيقة بين الحب والقسوة، وهذا ما أكّد عليه في الفقرة التالية إذ يقول: كنت متعباً جداً يلف اليأس قلبي كأنه سلك معدني شائك، فأحس برجفة دامية في كل جسدي، قضيت في هذا المكان أكثر من خمس سنوات، أقصد ستين شهراً وثلاثة عشر يوماً وخمس ساعات وبضع دقائق، تجاوزت الآن الستة والعشرين شتاء كأنها القرن، فلماذا يريدوني أغادر هذا المكان وقد ألفته، وتعودت كل خلية في جسمي على كلّ ذرة فيه، وصارت لي فيه ذكريات ليست كل البشر وربطتني صداقات حميمة مع مخلوقات لا يعرف الناس مستوى ما تحمل من مشاعر الحب."

لعلّ الكاتب في هذا النص حاول أن يستنطق أعماق الذات المشحونة بالتحديات والصعاب، محاولاً الهروب من ألم الحب، واليأس بعدما قضى أكثر من خمس سنوات وهو يعانق مبادئ التمرد واللامبالاة، ولذلك حاول الروائي عز الدين جلاوجي أن ينفرد بعالم المحسوسات، واعتلاء عوالم الروح

بتوظيف رمز المرأة، وقد نحسبه من الروائيين الجزائريين الذين أجادوا التوظيف، والتزم بالتركيب الجديدة الظاهرة في طابع جمالي.

ومما سبق عرضه فقد لمسنا دأب الروائي عز الدين جلاوجي، وسعيه الدائم لمحاولة خلق جو تفاعلي في روايته "ها وأسفار عشتار" بكل جد واحتراف؛ لأنه كان يطمح إلى الاتيان بشيء جديد يخرج عن الكتابة النمطية... صحيح قد لا يلتمس القارئ لروايته ناصية اللغة لتكون شديدة الثراء، لكنّه استطاع أن يسترعي انتباهنا في التعابير البسيطة التي تحمل قالبا دلاليا، كما يحاول جاهدا أن يكتب عن القضايا التي تخص الأمة، والذي يقرأ رواياته يستشعر رشاقة أصابعه في نسج الحروف، وتأكيد الذات وفق ما وضحته الكتب النقدية الخاصة بأعماله.

6. خاتمة:

من خلال قراءتنا للنص الروائي المعاصر يمكن أن نلاحظ ذلك التطول الحاصل على مستوى البنية السردية فيما يتعلق بتوظيف الصورة الرمزية ودلالاتها التي تجاوزت الخصائص القديمة، وكيف أنها سعت إلى الانفتاح والإيغال في الصور المجازية، والرموز، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أبرزها:

1. تتجلى ظاهرة توظيف الصورة الرمزية في الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال حضور مجموعة من الأدوات الفنية، والتراث كتوظيف الأسطورة، والقصص الشعبية.
2. اكتسبت الرواية الجزائرية المعاصرة ثراءً في أدواتها الفنية، والجمالية وحققّت تفاعلا وحوارية في البناء الدلالي للألفاظ.
3. أن الروائي عز الدين جلاوجي أهاب بالأساليب الرمزية كثيرا رغبة منه في التخفي عن السلطة العامة.
4. تكون الصورة الرمزية مرتكزا إبداعيا في الرواية المعاصرة للوصول إلى حمولات دلالية تثير ذائقة المتلقي.
5. إن توظيف الصورة الرمزية في رواية ها وأسفار عشتار هو محاولة للتعبير عن الصور الوجدانية وتوظيف عناصر الطبيعة.

7. قائمة المراجع:

- (1) أدونيس، 1983م، الثابت والمتحول (صدمة الحداثة)، دار العودة، بيروت، لبنان.
- (2) أميرة وهي، 2023م، الأنساق الثقافية المضمرة في رواية ها وأسفار عشتار لعز الدين جلاوجي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
- (3) جودة ناصر عاطف، 1983م، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- (4) خالد حسين، 2007م، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، دار التكوين، دمشق، سوريا.
- (5) سهيلة يوسف، 2018م، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة سيدي بلعباس.
- (6) عبد الحميد هيمة، 2005م، الصورة الفنية في الخطاب الشعري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- (7) عز الدين جلاوجي، ها وأسفار عشتار، دار المنتهى للنشر والتوزيع.
- (8) محمد علي كندي، 2003م، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك البياضي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.

